

تفعيل دور لأسرة في إعداد الشخصية المسلمة: اختيار استراتيجي

Activating the family role in preparing the Muslim personality : strategic choice

منصوري عبد الحق¹

¹ (مخبر التربية و التطور ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2، الجزائر (Algeria)

تاريخ الاستلام : 20.././.. ؛ تاريخ القبول : 20.././.. ؛ تاريخ النشر : 20.././..

ملخص: الأسرة باعتبارها المحضن الطبيعي بالمؤهلات الكاملة للقيام بإعداد الكائن البشري لا يوجد لها بديل. وإن الحرمان من العيش في أحضانها ومن الاستفادة من خدماتها الطبيعية ينعكس سلبا على مراحل حياة الفرد بمخلفات سلبية على المجتمع. وجاءت كل محاولات استبدال دورها بالمحاضن الجماعية كارثية في نتائجها نظرا لاصطدام نظامها بفطرة الإنسان وتكوينه النفسي. وأشارت الأدلة العلمية إلى أنواع من الاضطرابات في نمو عدد كبير من أطفال العالم الذين حرّموا من الحياة الأسرية وعاشوا طفولتهم في مراكز الإيواء الجماعية واحتضنتهم مراكز الإيواء الجماعية. وإن أفضلية الأسرة على أي بديل لها تأكدت حتى حين عاش أفرادها مع أبوين سيئين أو في أسر تقتقر إلى الحد الأدنى الذي يتطلبه نمو الأطفال الطبيعي وحتى حين قورنوا مع أطفال عاشوا في مؤسسات اجتماعية تتوفر على أحسن الظروف المادية ويشرف عليها مربون بكفاءات عالية. لكن وفي ظل تفاعل عدد من العوامل أصبحت الأسرة تواجه أزمة عميقة جعلتها عاجزة عن أداء دورها المنوط بها. وعودة دور هذه المؤسسة من جديد إلى الصدارة هو خيار استراتيجي يتوقف عليه مصير الأمة.

الكلمات المفتاح : الأسرة ؛ الشخصية المسلمة ؛ اختيار استراتيجي ؛ تفعيل الدور ؛ الاعداد.

Abstract: The family with its entrusted functions, the most important of which is the education of the human being and his preparation for social life, for which there can be no alternative. The deprivation of living within it and benefiting from its natural services must have a negative impact on the life of the individual and with negative repercussions on society. It is not surprising that all attempts to replace its role with collective institutions lead to counterproductive and sometimes disastrous results due to the lack of consideration by these institutions of human nature and the characteristics of its psychological structure. Accumulated scientific evidence has shown many types of growth disorders with large numbers of children around the world who were deprived of family life in childhood and taken in by collective shelters. The preference of the family over

any alternative was confirmed even when children lived with bad parents or in families lacking the minimum requirements for the normal development, and even when they were compared to others who lived in social institutions offering the best material conditions and supervised by highly qualified educators. However, for several reasons, the family today faces a deep crisis that makes it unable to fulfill its role. The return of this institution to center stage is a strategic choice on which the fate of the nation depends.

Keywords: family; Islamic personality; strategic choice; role activation; preparation .

* Corresponding author, e-mail:mansouriabd@yahoo.fr

مقدمة

إن الاستمرار في إعداد العنصر البشري إعدادا مؤهلا يعتبر الوسيلة الناجعة لتطوير المجتمع وضمان حضوره القوي خاصة في ظل التنافسية الشرسية التي لا ترحم من تعثر أو توقف أو سقط. ذلك أن المدد الطبيعي لهذا المجتمع يتمثل أساسا في الطاقة الكامنة لدى أفرادها كما يتحدد موقعه بين المجتمعات والأمم بمدى قدرته على تفعيل واستغلال تلك الطاقة في تجديد حياته وتطوير قدراته الذاتية. وتفاوتت برامج إعداد العنصر البشري في نتائجها وآثارها بحسب أولوياتها وعناصر اهتمامها وتركيزها، وظل الفرق الجوهرى بينها يرتبط بمدى تجاوبها في العمق مع الفطرة الإنسانية مستوى احتضانها للشخصية الإنسانية في شموليتها وتوازنها مع استيعاب كافة أبعادها المتفاعلة والمتكاملة. ومما أمكن ملاحظته في هذا الصدد أن البرامج التربوية التي استوحاها أصحابها من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة استطاعت في عمومها، بالاعتماد على الأسرة كخلية أساسية في المجتمع، أن ترفع كثيرا من التحديات وتعالج بسهولة ويسر كثيرا من المشكلات المعقدة وتحقق بذلك تقوفا نوعيا ونجاحا ملفتا. ولعل السر فيه يعود إلى حرصها على بناء الشخصية الإنسانية بدنيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا و روحيا على اعتبار أنها إطار واحد تتفاعل فيه كل هذه الأبعاد. وليس من قبيل الصدفة أن تكون الشخصية المسلمة التي تمثل الثمرة الطبيعية لهذا الفعل التربوي المتوازن متميزة في هذا الشأن من حيث أنها تتمتع بسلامة البدن والفكر والنفس والروح فضلا عن استعدادها الكبير لتطوير علاقات ايجابية مع باقي أفراد المجتمع و مدّ الجسور نحوهم.

ولأسباب ارتبطت أساسا بالتحويلات الجذرية والسريعة التي عرفتتها المجتمعات الإنسانية تم تدريجيا تهميش الدور الخطير والحساس للأسرة(القصير،1999)، تقلص بموجبه حضورها في واقع الفرد والجماعة. وإن محاولة الرجوع إلى الوضع الصحي الذي نسترجع معه طمأنينة واستقرار الأفراد والجماعات لا بد أن يكون فيها العنصر البشري نفسه طرفا مساهما بعد نقله النقلة النوعية التي تنفض عنه الغبار وترفع عنه الحواجز وتبدد قلقه وخوفه وتحرره من هواجسه التي ما فتئت تكبله وتقيّد من حركته الإبداعية الطموحة. وحتى يتحقق ذلك لا بد أن يعود دور الأسرة من جديد إلى الصدارة. ففي خضم هذه الفوضى العارمة التي فقد فيها الإنسان أمله وضاع بسبب ضياعه شعوب وقبائل، لا نجد خيط البداية والانطلاقة إلا من خلال هذه الخلية التي تظل مع كل ما حدث أو يحدث المكان الطبيعي الذي يجد فيه الإنسان راحة أكبر، وإن الاستثمار في تحريك هذه المؤسسة ودعمها وتطويرها بما يضمن لها البقاء في وسط العواصف الجارفة ارتقى إلى مستوى الخيار الاستراتيجي. فالأمة في حاجة إلى الإنسان المؤمن الصالح ولا قبل لها به إلا من خلال أسرة مسلمة بُنيت على تقوى من الله ورضوان تتفرّغ للقيام بهذه المهمة أحسن قيام. وهكذا يصبح

توفير العنصر البشري المؤهل خيارا مفصليا كما أن إيجاد الأسرة ومساندتها يتحول، من باب ما لا يتم الواجب إلا به، إلى أولوية لا يمكن تجاوزها.

الأسرة المسلمة إطار أمثل لبناء شخصية إنسانية

إن خصائص الأسرة المسلمة وما توفره لأفرادها من حياة آمنة ومستقرة ومن فرص للتفاعل القوي والتعايش الايجابي وما يتحقق في ظلها من تكامل في الوظائف والأدوار يعزز قوة هذه الخلية ويضمن لها الاستمرار ومواصلة العطاء. ومن أهم العناصر التي كانت لها مساهمة مباشرة في تفعيل دور هذه الأسرة في اتجاه تحقيق ذلك كله و زيادة:

عوامل معززة للاستقرار

إن الأسرة المسلمة مضطرة للحفاظ على توازنها واستقرارها في الظروف الطبيعية وفي الظروف الصعبة على حد سواء. ومن أبرز العوامل التي تساعد على تحقيق ذلك:

1- قدسية الرابطة الزوجية حيث أن القرآن الكريم وصفها بالميثاق الغليظ في قوله سبحانه وتعالى " وأخذن منكم ميثاقا غليظا " (سورة النساء، الآية 21). فلا يحق لأي طرف السعي عمدا لعرقلتها أو تعطيلها وعدم السماح لها التطور بصورة طبيعية في اتجاه تحقيق أهداف ومقاصد الشريعة الإسلامية المنشودة من وراء بناء الأسرة المسلمة (الشرباصي، 1993). وإن هذا الحرص على الحفاظ عليها يمثل وجها من أوجه التعبد لا يقلّ وزنا عن الأوجه التعبدية الأخرى. فكل فرد مكلف في حدود ما يطيق بإتقان دوره وعدم التهاون في أداءه.

2- العلاقة الزوجية هي الإطار الوحيد الذي يتم فيه إشباع الحاجات الجنسية، وكل ممارسة خارج هذا الإطار الشرعي تعتبر زنا وهذا الأخير يُصنّف في الدين الإسلامي من الكبائر التي يتعرض فاعلها لعقوبة قاسية تصل بالنسبة للمتزوج إلى الموت رجما. ومن المتوقع أن يتحول هذا العنصر الحساس في حياة الناس إلى آلية قوية تحفظ استقرار الكيان الأسري وتعزز رغبة الزوجين في تقوية الأواصر بينهما والتنازل لبعضهما بما يحقق حماية العيش المشترك والاستمرار فيه (بلخير حفيظة، 2008).

3- أن واجبات وحقوق كل فرد من جاءت واضحة ومفصلة في مصادر الإسلام الرئيسية خاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة (بلحاج العربي، 1994). فلا أحد يستطيع أن يدعي ما ليس له كما أنه لا أحد يمكنه إنكار ما هو حق لغيره. فالنظام الأسري الإسلامي حسم هذا الأمر وسدّ هذا الباب نهائيا ولم يبق للأفراد سوى الالتزام بتنظيم علاقاتهم على ضوء هذا التوزيع للحقوق والواجبات (دلاندة، 2005) وهي وسيلتهم العملية لتحقيق هويتهم الإسلامية. مع ملاحظة أن التشريع الإسلامي قدم ثروة من المواقف التفصيلية والفتاوى ما يسمح بتغطية شاملة للحياة الأسرية في مختلف أحوالها وظروفها حسب المكان وحسب الزمان.

4- تعزيز الزواج الناجح حيث أن جهودا خاصة تُبذل في رعاية العلاقة الزوجية ومضاعفة فرص تقويتها وتقليص إمكانية حدوث أي انتكاسة فيها، ولذلك فإن الدعوة صريحة لكل الأطراف لمعالجة ما يطرأ من مشاكل وبصورة فورية وإيجاد الحلول المناسبة لها حتى لا تشوّش على أفراد الأسرة وعلى علاقاتهم ببعضهم (بيومي خليل، 2005) وحتى لا تضيق في ظلها الحقوق وتتلاشى الواجبات وخاصة ما تعلق منها بالأطراف الضعيفة كالأطفال وكبار السن. فقد أثبتت التجربة أن الأسرة هي أعجز ما تكون على القيام بمهامها حين يسودها جو من النزاع المفتوح أو من الخصومة المعلنة. في الوقت نفسه لا ينبغي الاستثمار في الزواج الذي تأكد فشله، فالهدف من تكوين الأسرة إقامة حدود الله وإن فك العلاقة الزوجية يُعَلّل بعدم قدرة الزوجين على إقامتها، قال الله تعالى " فإن خفتُم ألا يقينا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به" (سورة البقرة، الآية 227) حيث، في هذه الحالة، يصبح الإبقاء عليها مكلفا بصورة غير واقعية مع احتمال كبير أن تتحول الحياة الأسرية مع الوقت إلى إطار ينتج المزيد من المشاكل والأزمات والتي رأيناها انعكاساتها السلبية في الغالب تتجاوز حدود حياة الأسرة لتلامس المجتمع الواسع الذي قد يتحوّل إلى مسرح أحداث مؤلمة تحركها في العمق عوامل كالحرمان العاطفي وموجات قوية من الضغائن والأحقاد والكراهة وعجز في تحقيق الذات وفقدان معنى الانتماء التي تمثل أبرز مظاهر الإخفاق الأسري في إعداد أفرادها. إن هذه العوامل مجتمعة تساهم بدون شك في تحقيق التوازن داخل الأسرة وتحمي الكيان من التصدع وتضمن له الاستمرار في حالة من الاستقرار التي يسهل على أفراد الأسرة في ظلها التأقلم مع الواقع المتجدد والتكيف مع مختلف الأوضاع التي تواجههم بكل كفاءة واقتدار.

الفرص المتاحة للفرد في ظل الأسرة المسلمة

إن الأسرة التي يتم تأسيسها بهدف التقرب من الله وطلب مرضاته سبحانه لا بد أن تضمن لمن يعيش في كنفها حياة سعيدة تنتعش في ظلها معاني المودة والألفة والدفء والمحبة بين أفرادها وتمتد بينهم جسور التقارب والتعاون والتنافس البناء، في المقابل تتقلص إلى حدود بعيدة مظاهر التنافر والصراع وتختفي الأحقاد وكثير من أعراض النفوس المريضة. وهو مناخ يرتاح فيه الفرد ويستشعر من خلاله قيمة الحياة وفائدة بذل الجهد من أجل تحسينها وتطويرها في صالحه وصالح أسرته ومجتمعه. وبهذه النظرة الإيجابية المشحونة بالتفاؤل والأمل يبدأ الفرد حياته فتشذ عزمته وتقوي إرادته ويزداد طموحه فتتهون العقبات والصعاب أمامه وتتلاشى هواجسه ومخاوفه فينطلق مُفجراً طاقاته الكامنة مُستغلا كل فرصة متاحة له ليكتشف كل يوم أنه أقوى مما كان يظن بالأمس، وأن في مقدوره أن ينجز أكثر ويعطي مردودا أكبر ويدرك مستوى أعلى ويحقق نتيجة أفضل، فيتسنى له بالتالي تحقيق الذات وتطوير القدرات وتقديم المساهمة وتسجيل الحضور بالطريقة الناضجة التي تضيف إلى جمال و رونق الحياة جمالا وبهاء. إنه نموذج الإنسان الذي

يحق القول فيه "إن ظهر الأرض أولى به من بطنها" لما يحمله من صفات إنسانية راقية وقناعات طاهرة وما يُبرزه في مواقفه السلوكية ومختلف استجاباته من تناغم بين مظهره ومخبره. وهو يمثل واحدة من الثمرات الطيبة التي تنتجها الأسرة المسلمة (أحمد عطا الله، 2007) التي تُبنى على حب الله ورسوله حين تستقر أحوالها وتسير في مسارها الطبيعي الذي يتجاوب مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها. ومن عناصر القوة التي تؤهل هذه الخلية أكثر من غيرها للنجاح في صياغة شخصية إنسانية بهذا المستوى:

1- توافق أركان الأسرة

إن الاتجاه العام الذي تسير في سياقه الأسرة المسلمة تحدده مقاصد الشريعة العامة ويخضع بالأساس إلى مبادئ إسلامية، فلا تُسمى "أسرة مسلمة" إلا عند التزام عناصرها بالشروط المحددة لكيفية بناءها وتنظيم علاقة أفرادها وتحقيق روح المعاشرة بالمعروف. وفي هذا الجو من الخضوع لإرادة الخالق جل وعلا وداخل هذا السياج الذي يحيط الكيان الأسري يقوم الزوجان ببلورة باقي بنود الاتفاق التفصيلية التي ترتبط بيوميّات حياتهما في مختلف شؤونها. وهكذا تنطلق الحياة الأسرية بمستوى من التفاهم وبدرجة من التوافق حول القضايا الجوهرية بين الزوج والزوجة بما يسمح بتسيير شؤونها بطريقة سلسلة دون تعثر أو اضطراب حتى في الظروف الصعبة، ذلك أن حقوق الأفراد وواجباتهم، كما أسلفنا، هي معروفة لا يمكن التطاول عليها أو التكرار لها، إذ يعتبر ذلك تجاوز لشرع الله وتعدي لحدوده سبحانه.

إن هذا الإجراء من شأنه أن يحقق تناغما في المواقف وتجانسا في استجابات الأفراد وردود أفعالهم خاصة تلك المتعلقة بالأبوين ويحررها من مظاهر التعارض والتناقض الأمر الذي ينعكس إيجابا على الأطراف التي تتلقى التربية داخل الأسرة، حيث تكون هذه الأخيرة فعالة ونتائجها مشجعة. فالأوامر والنواهي والتوجيهات عامة تخضع جميعها لمنطق واحد يمليه التوافق وينطلق من قناعة مشتركة تتحرك بموجبها كل الأطراف بالخصوص من ينتهي إليه أمر الأسرة. وهذا العامل يساعد في تحرير الممارسة التربوية وكل ما يندرج ضمن عملية إعداد العنصر البشري من الشوائب والمؤثرات السلبية بما يضمن لها تحقيق الأهداف وربما الاقتصاد في الجهد والوقت.

وعندما يظهر خلاف بين الأطراف الفاعلة داخل الأسرة فلا يمكن أن يستمر إلا إذا حافظت الأسرة مع وجوده على التقارب والتكامل بين أفرادها وعلى قيام كل فرد بما هو متوقع منه ضمن مسؤولياته المنوطة به وألا يؤدي إلى حالة من التنافر والتباعد التي تتعارض مع مبدأ المعاشرة بالمعروف (عيشور، 2006، ص. 95-110). فالحياة الأسرية، بعبارة أخرى، يجب أن تستمر والواجبات تُؤدى والحقوق تُمنح لأصحابها، مع استعداد الجميع لتسيير أوجه الاختلاف واستغلال ذلك لمراجعة وتحسين الواقع الأسري وتوثيق الصلة بين الأفراد وتعزيزها (الكندري، 1992). وفي

حالة دخول العلاقات الأسرية في أزمة فلا ينبغي أن لا يطول عمرها حتى لا تتعطل المصالح العامة والخاصة، بل المطلوب من الأبوين التعجيل بالمبادرة الايجابية لامتناس آثار الأزمة واستعادة الوضع الطبيعي لأن الطرف الأضعف (المتمثل غالبا في الأطفال) معرض في ظل الأزمة للإهمال مما قد يسبب له اضطرابات نفسية وسلوكية اجتماعية قد تكون لها انعكاسات خطيرة على حياته وحياة مجتمعه. وإذا اقتضى الأمر، في حالة عجز الأب والأم عن فض النزاع المتفاهم، اللجوء إلى عناصر خارجية ولكن في الدائرة الأقرب من الأسرة وذلك حفاظا على أسرارها وخصوصية حياتها عملا بالتوجيه القرآني " فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما " (سورة النساء، الآية 35). وإذا استمر الوضع المتأزم على حاله وتأكد أن العلاقة الزوجية لم يعد بالإمكان إصلاح ما فسد فيها وأنها مرشحة للمزيد من التدهور، وبترجيح الكفة نحو الموقف الأقل ضررا، فقد يكون من مصلحة الجميع فك الراباط الأسري خاصة إذا تحولت العلاقة الزوجية إلى وسيلة لمعصية الله والتورط في مخالفة مبادئ الدين الإسلامي الذي يفترض أن الحياة الأسرية بُنيت على أساسه. وليس أكثر برجماتية وواقعية من موقف هذا الدين حيال هذه المسألة الشائكة حين لا يتوفر الكيان الأسري على الحد الأدنى من التوافق بين الأب والأم من توجيهه رباني لا يبني على الشك ولا يسمح بالمغامرة غير محسوبة العواقب، لاسيما عندما تكون المرأة هي الطرف الراغب أكثر في إنهاء العلاقة الزوجية، حيث نقرأ في كتاب الله " فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به" (سورة البقرة، الآية 229). كل هذا من أجل توفير أحسن الظروف لمواصلة الحياة الأسرية وإمكانية قيام كل عنصر بما يدخل في دائرة مسؤوليته، حياة أسرية قد يكون عناصرها مجتمعين أو متفرقين حسب ما تقتضيه الأحوال وما تمليه الظروف وبما يجسد مقاصد الشريعة أفضل تجسيد.

والمستفاد تربويا أن الشخصية المسلمة التي يتم إعدادها مضطرة بحكم الواقع أن تحافظ على مسافة واحدة من الأبوين ويصبح مصدر التلقي موحدا في جوهره حتى في حضور مظاهر التباين والاختلاف بحيث لا ينتقل إلى الطرف المتلقي سوى الرسالة التربوية المتوافق عليها. كذلك فإن الشخصية المسلمة المقصودة ضمنا من كل هذا التشريع وكل هذه الاحتياطات تُتاح لها فرصة معاينة العيش المشترك عن كثب في ظروفه العادية وفي أوقاته الصعبة فيمكنه أن يرى كيف تكون العلاقة بين الأب والأم، وكيف يمكن أن يختلف أحدهما مع الآخر و لا يفسد ذلك الود بينهما كما أنه لا يمنعهما من أداء الدور المنوط بهما.. إنها، بعبارة أوضح، التربية بواسطة الاحتكاك الخاص والقريب من الواقع بانعكاساتها التي لا حدود لها في صياغة اتجاهات الفرد نحو الآخرين ونظرته إلى الحياة عامة وإلى التعامل مع الناس خاصة، فضلا عن المواقف الناضجة والمهارات التي يكتسبها من الملاحظة المباشرة والمستمرة لسلوك أبويه خلال مرحلة الطفولة والتي سينتقل

منها بزاد مهم قابل للاستغلال في تسيير علاقاته خارج دائرة الأسرة ولاحقا في أسرة المستقبل التي سيكون أحد طرفيها الرئيسيين.

2- سهولة اكتساب آداب الإسلام وأخلاقه ومبادئه

بما أنه يعيش وسط أسرة مسلمة يحاول أفرادها بكل إرادة وعزيمة إدراك مرضاة الله بالالتزام بما يدعو إليه هذا الدين الحنيف، فإن معتقدات الإسلام وقواعده ومبادئه وأخلاقه تنتقل إليه سلوكا وصورا إنسانية متحركة يستعرضها أقرب الناس وأحبهم وأصدقهم إليه الذين منحهم ثقته الكاملة، كتحصيل حاصل، إلى درجة أن حضورهم في بعض مراحل طفولته المبكرة يمثل الأمن بعينه وغيابهم يعتبر من أخطر مصادر تهدد أمنه. ومن المتوقع أن تتحول تلك الصور والمواقف التي انتقلت إليه بهذه الكيفية الفعالة إلى سلوك طبيعي وعفوي يؤديه فيما هو مرتقب من أحوال مشابهة سوف تصادفه في حياته المستقبلية، لا تكلف فيه ولا تصنع.. وهو مؤشر اقوي يعبر عن مستوى الصحة النفسية العالي الذي أصبح يتمتع به. إنها الآثار الطيبة للقوة الحسنة التي قدمها الأبوان خلال فترات رعايته واحتضانه. ذلك أنه حتى مع وجود المنهج المتكامل الذي يتوفر على الخطة المحكمة التي تسمح في أكمل صورة بتطوير قدرات الفرد وصقل مواهبه وشحنه انفعاليا و وجدانيا والوصول به إلى النضج الكامل في جميع أبعاد الشخصية الإنسانية، فإن ذلك لا يُغني عن وجود قهوة تجسد تلك الايجابيات في الواقع الملموس. ولا غرابة، فإن القرآن الكريم الذي احتوى على المنهج الصالح لكل زمن ومكان نزل منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال 23 سنة مراعيًا للأحداث التي تقع على الأرض وتجاوبا مع واقع بشري قائم، واقع يُراد له أن يتحول بالترجيح كي يصبح مهيبًا لاحتضان أفضل مجتمع بشري عُرف على الإطلاق.

إن احتضانه من قبل الأسرة المسلمة وتوفير له الرعاية المتوقعة سيسمح بتثبيت أسس وركائز شخصيته الأصيلة وترسيخها وبرسم معالمها في مختلف أبعادها الجسمية والعقلية والروحية والخلقية في ظل انسجام وتناغم يستجيب لمتطلبات التكيف مع الحياة.

أبعاد الشخصية المسلمة

إن قوة الشخصية المسلمة هي ثمرة تفاعل أبعادها المختلفة في تناغم رائع يستعرض على أرض الواقع الملموس صورة اجتماعية إنسانية تقترب من الكمال البشري، وفيما يلي عرض لكل بعد منها مع محاولة الوقوف على بعض العوامل الحاضرة ضمنه والخصائص والمميزات التي تعمل على تعزيز قوة هذه الشخصية المسلمة :

1- البعد الصحي في بناء الشخصية المسلمة

عندما يولد الفرد في أسرة لا تمارس الطهارة كوسيلة للوقاية والحماية فحسب بل وكشعيرة من الشعائر التعبدية، سواء تعلق الأمر بطهارة الأبدان أم طهارة الثياب أم طهارة الحيز والمكان،

فبالضرورة تتأصل عنده هذه العادة الطيبة، خاصة ممارسة الوضوء، التي لها تأثير معنوي كبير أولاً من حيث ما يجلبه من أجر وثواب، فقد ثبت عن الرسول ﷺ ، فيما رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة، قوله "الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة"، فضلاً عن أنه يستعيد الفرد بها نشاطه وتكسبه صحة بدنية وعافية (باقر شريف القرشي، 1979، ص.271-272). وتوجد في الفقه الإسلامي تفاصيل عجيبة حول الطهارة تتناول جزئيات دقيقة مثل الدعوة إلى تنظيف الأسنان وحلق الشعر وتقليم الأظافر والتي هي معلومة وممارسة من قبل شرائح واسعة من المجتمع الإسلامي.

من ناحية أخرى اهتم الإسلام بتنظيم تغذية الأجسام من حيث تحريمه بعض الأطعمة والأشربة المضرة كما هو في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله" (سورة البقرة، الآيتان 172 و173)، وقوله تعالى "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقوذة والمتريدة والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم" (سورة المائدة، الآية3)، وقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" (سورة المائدة، الآية90). وكذلك من حيث توزيع أوقات تناولها والكمية المناسبة منها بما يصلح هذه الأجسام. وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه" (رواه أحمد والترمذي وغيرهما)، ومن حيث إلزامها بالإمساك عن الطعام في أوقات معينة كما يشير إليه قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (سورة البقرة، الآية182) وقوله تعالى "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" (سورة البقرة، الآية184). وقد روي عن النبي ﷺ قوله "صوموا تصحوا" (حديث لابن السني، الجامع الصغير، الجزء1، ص.153). ويكفي لتقدير قيمة هذا التوجيه التوقف عند أحوال الناس في الفترة المعاصرة والمعاناة التي يعرفونها والتي ترتبط بتناول الطعام مباشرة كاضطرابات الأمعاء وزيادة الوزن الذي يرهق القلب وزيادة الضغط الذي يسببه الإفراط في الأكل وزيادة السكر بسبب عدم انتظام احتراقه داخل الدم (القاضي يوسف ويالجن، 1981، ص.417). فالأجسام من وجهة نظر الإسلام هي أمانة عند أصحابها لا بد من رعايتها والحفاظ عليها، فقد ورد في الحديث الصحيح "إن لجسدك عليك حقاً" (رواه البخاري ومسلم).

والأسرة المسلمة بحكم انتمائها لهذا الدين يُتَظَر منها أن تراعي هذه الآداب والتوجيهات والأوامر والنواهي. ولعل التوجيه العام الذي ينظم هذه المسألة الحساسة هو قوله تعالى "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (سورة الأعراف، الآية31).

والأطفال الذين ينشئون في هذا الوسط سيُربون على هذه العادات محافظين على صحة أبدانهم ومراعين شروط وقايتها من الأمراض، وهو واحد من مظاهر القوة التي ستسمح لهم بتحقيق إنجازات تتناسب معها فضلا عن أنه يمثل الطريق الأمثل للاقتصاد على اعتبار أن كلفة الوقاية تكون دائما أقل مما يكلفه العلاج. وهكذا يستفيد الفرد داخل الأسرة المسلمة رعاية جسمية كاملة تكون بمثابة الوعاء الحاضن للصحة النفسية العامة.

2- البعد العقلي في بناء الشخصية المسلمة

إن ملكة العقل باعتبارها الخاصة التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات هي مشمولة ضمن الضرورات الخمسة التي يحميها الدين الإسلامي، حيث أن جمهور الفقهاء يرى أن أحكام الشريعة الإسلامية تدور حول حماية خمسة أمور هي أمهات لكل الأحكام الفرعية ويسمونها الضرورات الخمس وهي: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ المال وحفظ النسل وحفظ العقل. والقرآن الكريم يحث على اكتساب العلم ويرفع من مكانة العلماء، يقول الله تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (سورة الزمر، الآية 10) كما يدعو إلى ضرورة الاستناد إلى الحجة والدليل والبرهان فيما ندعيه. قال تعالى "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (سورة البقرة، الآية 110) وقال سبحانه "ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون." (سورة المؤمنون، الآية 118) وهو دين اليقين يعتبر الظنون والأوهام سببا في تضليل الناس وإفساد معتقداتهم. قال تعالى "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون" (سورة الأنعام، الآية 117) وقال أيضا "وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا" (سورة يونس، الآية 36) وفي آية أخرى "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون" (سورة الجاثية، الآية 23)، فضلا عن أنه عدو للتقليد والانسياق وراء محاكاة الآخرين بدون أعمال الفكر وحصول الاقتناع، يقول الله تعالى " وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون" (سورة آل عمران، الآية 106). "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون" (سورة البقرة، الآية 169).

ومن المتوقع أن يكون لذلك صدى في واقع أفراد المجتمع الإسلامي وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غيرهم فيتصرفون كعقلاء ناضجين لا يؤسسون حياتهم على تعصب لعادة موروثية أو رأي اشتهر أو مذهب ساد ، وإنما على أساس رجحان المصلحة آخذين بالأحسن والأفضل استجابة للتوجيه الرباني "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب" (سورة الزمر، الآية 17). وينتظر منهم في ظل الأسرة كذلك أن يتعاملوا مع واقعهم بطرق وأساليب تتسم

بالحكمة وتخضع للمنطق السليم، وألا يعتمدوا في تنظيم حياتهم تلك على العاطفة وحدها وعلى التقديرات السطحية والظنية والقناعات المغلفة بالأساطير والخرافات وغير المستساغة عقلا فضلا عن أنها تهمّش الجهود التي يعتمد فيها على استشراف المستقبل وعلى التخطيط والاحتياط والأخذ بالأسباب. ومن خلال هذا الواقع الإنساني وفي ظل العلاقات المتميزة التي تربط بين أفرادها يتعلم الإنسان أعمال الفكر وممارسة المحاكمة والاستنتاج والاستقراء ويظلّ واعيا حين يصدر أفعاله وأقواله حتى لا يفوته تقدير عواقبها قبل حدوثها. فهو صاحب تفكير وتدبير، ومن العوامل التي تساعده على تحقيق ذلك في واقعه:

أ- ممارسة النقد الذاتي الذي يجعله يتحمّل المسؤولية كاملة في كل ما يقع له وخاصة عند الفشل والإخفاق ولا يلجأ إلى الأطروحات الفكرية التبريرية التي تنسب أسباب الخطأ والقصور والفشل والعجز إلى الغير. والقرآن الكريم في هذه المسألة الخطيرة والحساسة صريح وواضح. يقول الله تعالى " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " (سورة الشورى، الآية 30) ويقول أيضا " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى " (سورة النجم، الآية 32).

ب- أن يتصف تفكيره بالشمولية و ألا يحاصره بأسوار النظرة الجزئية القاصرة، وما أكثر ما يخطئ الإنسان حين يسجل الموقف بناء على أجزاء من الحقيقة.

ج- أن يكون تفكيره تجديديا وليس تفكيرا تقليديا استهلاكيا. فالمجتمع يتطور ولا يمكن فهم الواقع من خلال التصور المتحجر. فعن طريق الصور المألوفة والمعتادة قد لا تتحقق الملائمة والمواءمة. د- أن يعتمد التفكير العلمي الذي يُبنى على أساس البحث والمعرفة والتثبت وطلب الدليل وعدم الاستسلام للدعوات العامة التي لا تختلف أحيانا عن الشائعات. كما لا يحق له أن يتبع الظن. يقول الله تعالى " إن الظن لا يغني من الحق شيئا " (سورة النجم، الآية 28).

إن هذه الشخصية العاقلة بُعد نظرها وقدرتها على فهم حقيقة ما يجري تستطيع أن تشق طريقها في الاتجاه الذي ترجح فيه نجاحها وتصنع لنفسها بكل منطق وعقلانية واقعا تستأنس به ويتجاوب مع قناعاتها العميقة تتحرك فيه بهدوء وطمأنينة وتؤدّد نحو ما تصبو إليه بعيدا عن المغامرة غير محسوبة العواقب وبأقل أخطاء. كل هذا يصنعه النضج العقلي الذي لا يدركه الإنسان إلا بتوفير له البيئة المهيكلّة، كما يرى جان بياجيه (بياجيه، 1988)، تستفز أفكاره السابقة وتضعها على محك الاختبار والتجربة وتدفعه باستمرار إلى التحرر من النظرة الجزئية التي عالج بها واقعا لم يعد قائما وتهز تصورات وقناعاته وتدفعه لمراجعتها وتعديلها والتخلي عنها إذا اقتضى الأمر واستبدالها بما يحقق مواءمة أكبر وتكيفاً أفضل. إنها مرونة تفكير العقلاء التي يطوّقون بها الحياة في كلياتها ولا يغرقون في تفاصيلها وجزئياتها التي يختزلونها في صور مجردة تمكّنهم من الإحاطة الشاملة. وكما أوضحنا في بداية هذا المحور فإن الأسرة المسلمة تملك إمكانات لا يُستهان بها لتوفير مثل هكذا

بيئة تحاور الفرد وتطرح عليه الأسئلة وتدفعه إلى إيجاد الأجوبة المناسبة لها. فدين الإسلام يوجه أتباعه إلى تعمير حياتهم الدنيا بكل ما أوتوا من قدرة على ذلك وأن يحققوا فيها الريادة في كل مجال من مجالاتها ولكن مع اهتمامهم الدائم بالآخرة التي يؤمنون إيماناً جازماً بأنهم صائرون إليها، كما يدعوهم إلى التدبر والتأمل في الكون والتوقف عند الأحداث واستخلاص الدروس والعبر وإلى استحضار عظمة الله في كل حين علماً بأنه سبحانه "لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" (سورة الأنعام، الآية 104) ومتابعة مشاهد غيبية من مشاهد القيامة التي ذكر القرآن الكريم عينات منها. فإذا كان كل ذلك حاضراً خلال مراحل الإشراف على تربية العنصر البشري في أحضان الأسرة المسلمة فإن أقل ما يكسبه هذا الأخير من هذه الأوضاع العقل الكبير الذي يتمتع صاحبه باستقلالية التقدير والنظرة الثاقبة والقدرة على الموازنة والترجيح، ويصعب بالتالي إقناعه بالترهات وأشباه الأدلة والأفكار الواهية. إنه سد منيع غير قابل للاختراق ولذلك فإن الشخصية المسلمة بهذه الخاصية تستعصي على أي غزو فكري أو محاولة احتواء. وهو مظهر قوة يؤهله ليؤثر في الآخرين وينقل إليهم رسالته ويقدم ما يساهم به في تغيير الواقع دون أن يتأثر بهم أو يصيبه منهم ما يضعف من عزيمته. وأنى لهم ذلك وهو في قراءته اليومية لكتاب الله تكاد لا تخلو صفحة من صفحاته من آية تحثه على استخدام قوته العاقلة وعدم الاستسلام في أحكامه واستتباطاته إلى الهوى أو إلى ظواهر الأشياء وصورها مثل قوله تعالى في أكثر من موضع " أفلا يعقلون" (سورة يس، الآية 68)، " أفلا تتفكرون" (سورة الأنعام، الآية 50)، " أفلا ينظرون" (سورة الغاشية، الآية 17). فالشخصية المسلمة التي تربت في البيئة الإسلامية يقظة للغاية تسير في هذه الحياة بخطوات ثابتة تقدم منها وتؤخر بحسب ما يحقق الاطمئنان والسكينة تحت رقابة ذاتية تتغذى من اعتقادها الجازم بأن الله يسمعها ويراها.

3- البعد الخلفي في بناء الشخصية المسلمة

إن حياة الإنسان تفقد كل معنى وكل ذوق إذا لم ترتدي ثوب الأخلاق النبيلة، وإن الأسرة المسلمة، التي تعتبر رعاية الأخلاق والمحافظة عليها من الدوافع الملحة لتأسيسها، ينبغي أن تتحول بصورة تلقائية إلى إطار حاضن لفضائل الأخلاق. فهي امتداد للرسالة الخاتمة المتمثلة في بعثة الرسول ﷺ، الذي أخبر قائلاً "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (حديث رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم في المسند والبيهقي في الشعب)، وحين أراد رب العزة أن ينوّه به وبمقامه وصفه سبحانه بقوله "وإنك لعلی خلق عظیم" (سورة القلم، الآية 4). فالأسرة المسلمة التي يتأسى أفرادها بالرسول صلى الله عليه وسلم لا بد أن تصبغ حياتها العامة والخاصة بـ :

أ- تقوى الله والوقوف عند حدوده وامتنال أوامره واجتناب نواهيه جل في علاه. قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (سورة آل عمران الآية 102).

- ب- الاستقامة لأنها عنوان الاستقرار والثبات كما أن فضلها كبير، قال تعالى " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (سورة الأحقاف، الآية 13).
- ج- العفة والقناعة فيعيش أفرادها في هذه الحياة مستظلين بشعاره " اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه وبعاد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب".
- د- العزة والكرامة في غير استضعاف ومذلة لأن الإسلام يأبى لنا الذلة والهوان. يقول الله تعالى " والله العزة ولرسوله وللمؤمنين" (سورة المنافقون، الآية 8)
- هـ- الإيثار الذي هو شعار النفوس الكبيرة الساعية لخدمة الإنسانية، وقد مدح الله من تخلق بها في قوله سبحانه " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" (سورة الحشر، الآية 9).
- و- التواضع وعدم التكبر اقتداء في ذلك بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام الذي أمره الله جل في علاه بقوله " واخض جناحك للمؤمنين" (سورة الحجر، الآية 88).
- ز- التسامح والصفح الجميل والعفو عن الزلات والعترات الذي يرقق القلب ويحرر الفرد من الحسد والحقد والضغينة ويملأه إيمانا ويقينا لقول الله تعالى "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم" (سورة النور، الآية 22). والعفو صفة لا تصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل، وقد مدح الله هذا الخلق في قوله جل شأنه "وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم"(سورة التغابن، الآية 14).
- ح- الرفق واللين في التعامل مع الآخرين، ولا ريب فقد نزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التوجيه الرباني يدعوه للترام هذا المظهر وما يمكن أن ينجر عن غيابه، قال تعالى " فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر" (سورة آل عمران، الآية 159).
- ط- الإحسان و هو واجب طبيعي لا تكلف فيه بالنسبة للنفوس غير المريضة، فإله تبارك يقول "وأحسن كما أحسن الله إليك"(سورة القصص، الآية 77). والإحسان تعود آثاره في النهاية على المحسن نفسه كما ترتدّ الإساءة على من اقترفها، قال الله تعالى "إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها"(سورة الإسراء، الآية 7).
- ي- برّ الوالدين اللذين و هما أحق الناس بالإحسان لما لهما من الفضل العظيم، فإله تعالى يقول "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و اخض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" (سورة الإسراء، الآيات 22-24). ويقول جل شأنه "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا"(سورة النساء، الآية 36).

ك- صلة الأرحام التي هي تربية للنفس على الصبر وعلى التحكم في الانفعالات وضبط الشهوات فضلا عن أنها عبادة من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد من ربه، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال "الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله" (رواه مسلم، لرقم: 2555). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت". (رواه البخاري، الرقم: 6138)

ل- الصدق الذي هو من ضرورات المجتمع، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تنوّه بهذه الصفة كثيرة، مثل قول الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (سورة التوبة، الآية 119)، وقوله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا" (سورة الأحزاب، الآية 70)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" (حديث رواه البخاري و مسلم)

هذا زيادة على السلوك الراقي والكلام الطيب والانضباط في المواقف والالتزام بالمواعيد والتفاني في حماية الأسرة مع كل ما تتطلبه من تنازلات وتضحيات.. مظاهر لا شك تزيد المشهد إجلالا وتقديرا والنفوس بداخله طيبة وانشراحا كما تساهم في تحريرها من كل احتقان تسببت فيه بعض حالات الاصطدام العرضية في سياق تفاعل الأفراد داخل كيانهم الأسري.

في المقابل نتوقع أن تختفي إلى حد بعيد مظاهر الانحراف ومختلف الصفات الخلقية الذميمة مثل الكذب والغش والغيبة والنميمة والتلفظ بالكلام البذيء والفاحش وكل صور السلوك المائع الذي يلغي معاني المسؤولية والمروءة والرجولة.

إن هذه الظروف المتميزة التي تحيط بالفرد داخل أسرته في ظل التفاعل الكثيف لكل هذه العوامل التي تدفع نحو الخير والصلاح والتي فجرت أمامه ينابيع الإيمان والأخلاق لا يمكن سوى أن تصنع منه الشخصية الإنسانية النموذجية التي تكون حياتها في طولها وعرضها، على حد تعبير القاضي يوسف ومقداد يالجن (1981، ص. 371)، مفتاحا للخير ومغلاقا للشر. ويكفي أن يستعرض الأبوان في سلوكهما ومواقفهما اليومية بعضا من هذه الأخلاق السامية بصدق وعفوية ويستمران في المحافظة على الالتزام بها أمام أطفالهما لكي تنتقل إليهم وتندمج ضمن أبعاد شخصيتهم الأصيلة.

ومن الآثار المباشرة لحضور العنصر الأخلاقي في حياة الفرد أنها تدفعه إلى مراقبة سلوكه وضبط مواقفه وإتقان عمله وعدم تجاوز حدوده، وكلها عوامل تساعد في اندماجه داخل الجماعة وتنمية علاقات بناءة مع أفرادها بما يزيد تماسكهم العام قوة وصلابة.

4- البعد الاجتماعي في بناء الشخصية المسلمة

بقدر ما اهتم الإسلام ببناء الفرد الصالح سعى بالموازاة لإقامة المجتمع المتماسك وترسيخ انتماء الفرد إليه بواسطة مؤسسة الأسرة التي ينمي فيها الاستعداد للعيش داخل الجماعة ويتعرف على ثقافتها وكثير من الأطر التي تنظم حياة أفرادها بمختلف تقاطعاتها مع ما يكتسبه فيها من مهارات ويطوره من قدرات تؤهله للتعامل الحسن مع الناس وكسب ودّهم وتطوير علاقات مثمرة معهم.

إن العلاقات داخل الأسرة المسلمة مرشحة، نتيجة الضوابط التي تخضع لها والأطر القانونية التي تنظمها، أن تتطور في الاتجاه الإيجابي وأن تتوثق أكثر فأكثر، ذلك أن الفرد بداخلها يُنتظر منه أن يعيش مع الآخرين في تناغم و وئام بالالتزام حدوده ومراعاة أخلاق المعاملة وآداب التعايش، علما بأنه التزام ديني تعبدي في طبيعته قبل أن يكون اجتماعيا مدنيا. ولذلك فإن سلوكه تجاه الوالدين يكون بزا بهما، وتجاه الأرحام صلة لهم، ونحو الأطفال عطفًا بهم و رعاية لهم، ونحو المرضى والضعفاء مواساة لهم ورفقا بهم، ونحو الجيران اهتماما بشؤونهم ومساعدتهم، ونحو الكبار احترامًا لهم وتفقدًا لأحوالهم، ونحو العلماء تقديرا وإجلالا لهم... الخ. وهذه الصور السلوكية يتعلمها الفرد داخل أسرته بالملاحظة والمعاينة وبواسطة التربية والتوجيه. ومن نتائج ذلك زيادة تماسك أفراد المجتمع الصغير والذي تتوسع دائرته ليشمل المجتمع الكبير، هذا الأخير الذي شبّه الرسول ﷺ ترابط أفراد المتين بالجسد الواحد حين قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (حديث رواه مسلم، رقم 2586 والبخاري، رقم 6011). كما شبّهه بالبناء المترابط الأجزاء حين قال ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشده بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه" (حديث أخرجه البخاري، رقم 2446 ومسلم، رقم 2585). فالفرد داخل الأسرة المسلمة يرى من سلوك أبويه وإخوته وأخواته الأكبر منه إنصافا عجيبا في حق بعضهم بعضا وفي حق من هم خارج دائرة الأسرة. مشاهد بتكرارها يُكسر حبّ الذات المطلق عنده وتُهدّب أنانيته ونزعتة الفردية، ليتّجه طواعية نحو الجماعة والإقبال عليها والافتتاع بضرورة مدّ الجسور نحوها. يتسنى له في فلك أسرته أن يرى ذلك كله قبل أن يفقه قول الله تعالى "إنما المؤمنون إخوة" (سورة الحجرات، الآية 10) وقبل أن يصل مسامعه ومداركه التوجيه النبوي " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه." (حديث رواه البخاري ومسلم) ويكتمل هذا البناء حين يُحاط بالسياج الأمني الذي يحميه من التردّي أو التصدع حيث أن الإسلام يقطع الطريق على كل ما من شأنه أن ينغص هذه الأخوة أو يفسدها مثل اعتماد أساليب تنتشر الكراهة

بين الأفراد أو تنمي الأحقاد والعداوات بينهم أو تكرر التفرقة العنصرية أو غيرها. والقرآن الكريم في سورة الحجرات، التي سميت بسورة الأخلاق، يدعو المؤمنين إلى عدم تعاطي السخرية واللمز والتنازير بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة. يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتقوا الله إن الله تواب رحيم" (سورة الحجرات، الآيتان 11 و 12) نظرا لما تتسبب فيه هذه السلوكيات من تشويش على العلاقات بين الناس وتدفع الأفراد بقوة نحو التناظر والتباعد وفي كثير من الأحيان نحو التصادم. و خير ما يحدد القاعدة الفاصلة في ذلك قول الرسول ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليلق خيرا أو ليصمت"(حديث رواه البخاري و مسلم).

يُضاف إلى ذلك أن الأفراد داخل الكيان الأسري يزداد وعيهم بالحاجة إلى الوحدة فيما بينهم والمحافظة عليها كل من موقعه، كما أن مبدأ النصح للمسلمين والأمر بالمعروف، الذي هو أحد الدعائم الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي ومن أهم الإجراءات الاحتياطية في الحفاظ على سلامته وتماسك أفرادها، يأخذ مجراه في العلاقات الأسرية حيث يكاد تبادل النصيحة والأمر بالمعروف يُمارس بصورة عفوية، فيتعود الجميع في جو تسوده المودة والعطف تقبل ذلك والتجاوب معه. ومن أقوال الرسول المأثورة في هذا الشأن قوله ﷺ "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(رواه مسلم، رقم 4/2000) وفي حديث آخر عن حذيفة رضي الله عنه الذي رواه الترمذي " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهوّن عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".

وهكذا لا يخرج الفرد من أسرته إلا وقد اكتمل استعداده للدخول في الحياة الاجتماعية الواسعة والاندماج السلس في دواليبها والتكيف مع متطلباتها واحتلال الموقع المناسب لسد ثغرة من ثغورها والمساهمة في رفع بعض تحدياتها. وإن المجتمع الذي تتفاعل فيه هذه النوعية من البشر بهذه الخصائص والصفات وبهذا المستوى من الوعي وهذه الدرجة من اليقظة لا بد أن يشكّل قوة يتعذر قهرها ويجسد في الواقع تجربة إنسانية رائعة ورائدة فضلا عن أنها تكون ناجحة بكل المقاييس.

5- البعد الروحي في بناء الشخصية المسلمة

إضافة إلى التفاعل الاجتماعي الإيجابي الذي تناولناه في الفقرة السابقة، يسود الحياة الأسرية كذلك جو روحاني مُنعش، مشحون بذكر الله واستحضار عظمته سبحانه وبإداء مختلف الشعائر الدينية اليومية، مثل الصلاة، والموسمية، مثل صيام شهر رمضان، وإحياء المناسبات الدينية، مثل الهجرة النبوية، المولد النبوي. كما تحرص الأسرة على السمو بأرواح أطفالها وتهذيب نفوسهم

وتنشئتهم على عبادة الله وتربيتهم على البذل والتضحية في سبيل الله ومن أجل خير الإنسانية، في ظل اتصال دائم بخالقهم. إن توازن شخصيتهم الذي ينجم عنه الاستقرار في حياتهم لا يتحقق إذا أهمل البعد الروحي، لأن الروح على حد تعبير رونييه أوبير "هي المنبع الوحيد الذي تنبثق منه الطبيعة والمجتمع والكيان الفردي" (رونييه أوبير، 1983، ص.233)، و "إننا نعيش جميعا في عالمين، كما يشرح راتشر نافجستون، العالم المادي والعالم الروحي ... [والعالم الروحي] "هو عالم القيم ولو أننا ضحينا به على مذبح العلوم أو الاقتصاديات أو الاجتماعيات أو أي شيء آخر لكان في ذلك هلاكنا مثلنا في ذلك كمثل من يحذف الفيتامينات من طعامه." (نافجستون، 2021، ص.46). هذه الرياضة الروحية بانعكاساتها الطيبة على النفس البشرية يكون شأنها مع هذه الأخيرة كشأن الرياضة البدنية مع الجسد " فكما أن الرياضة البدنية تقوي الجسم والعضلات فكذلك الرياضة الروحية تقوي الروح وتنشطها وتزيد من فاعليتها وطاقاتها" (القاضي يوسف ويالجن مقداد، 1981، ص.322). والانتعاش الروحي في عمقه صحة ضمير ويقظة فكر وتصحيح نية وشحن إرادة وعزيمة، وينعكس في واقع الأفراد طاقة دافعة نحو فعل الخير والالتزام بالواجبات والقيام بالمسئوليات، ومنفرة من فعل الشر والغفلة والتهاون في الحياة، ومجسدة لافتقار الفرد إلى الله وكل ما يصاحبه من خُلق التواضع. إن الأسرة المسلمة يفترض أنها تعيش في سكينة وطمأنينة. يقول الله تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (سورة الروم، الآية 21)، ويقول أيضا "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" (سورة الأعراف، الآية 189)

إذا نجحت الأسرة في احتضان أفرادها بهذه الروحانية العالية فإنها لا شك ستمد المجتمع بعناصر سعيدة تتمتع بصحة النفوس والأبدان وبقوة الإرادة والاستعداد لنشر ما يعمم السعادة على باقي أفراد المجتمع وتحمل التبعات والتضحيات ومواجهة التحديات والعقبات، تحركها رغبة جامحة في خدمة الإنسان إرضاء لرب العالمين واقتداء بالرسول ﷺ في نشوة تنبعث من أعماقه يحركها الإخلاص وصدق التوجه. ولعل هذا جزء مما أشار إليه وبشّر به حديث الرسول ﷺ الذي قال فيه "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار" (رواه البخاري ومسلم).

الاهتمام بالفرد و الأسرة المسلمة اختيار استراتيجي

لقد تأكد عبر تاريخ الشعوب الطويل أن وجود العنصر المسلم بصفاته المميزة كان دائما يمثل حجر الزاوية في استقرار المجتمع وحلقة أساسية في تقارب أفرادها وتعايشهم على اختلاف مللهم وأجناسهم وألوانهم، كما ظلّ غيابه أو ضعفه أو تهميشه دوما يفتح الباب لظهور أزمات وانتكاسات تفاوتت في آثارها ومخلفاتها بمقدار انحصار حضوره وتأخر مساهمته (الندوي، 1987). إنه يحمل

في أحضان كل حقبة زمنية يعيش فيها وفي كل مكان من هذه المعمورة يحلّ فيه رسالة السماء الخاتمة التي جسّدت كمال دين الله لعباده وتمام النعمة عليهم. قال الله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (سورة المائدة، الآية 4)، رسالة يتحقق حفظها واستمرار الاحتكام إليها بوجود هذا العنصر الطاهر، الذي ما فتئ يمثّل منبعاً مفتوحاً للخير يستفيد منه الأحياء جميعاً حتى البهائم والحيوانات. فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "عُذِّبَتْ امرأة في هرة، سجنها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض (حديث رواه البخاري ومسلم). وفي حديث آخر عن أبي هريرة "بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به" (رواه البخاري ومسلم).

من ناحية أخرى بات واضحاً أن مساهمة الأسرة المسلمة في بناء هذا الفرد المتميز وإعداده نفسياً وفكرياً واجتماعياً وروحياً لا بديل فيه لها. ويصبح أمام المجتمع خيار واحد هو دعم هذه المؤسسة بكل الوسائل والإمكانات حتى تظل ثابتة قوية وتتمكن بالتالي من الاضطلاع بمهامها على الوجه الأفضل، مهام نوعية حساسة من ثمراتها الطبيعية مدّ الإنسانية بالعناصر الصالحة السعيدة القوية الموصولة بربّ العالمين والتي لا تعرف اليأس والقنوط وتحاصر كل مظاهر فقدان الأمل فتزفع الحضارة إلى ذروتها والإنسان إلى قمته.

وجود العنصر المسلم ضرورة

يفترض أنه يشخّص في حياته العملية الكمال البشري الذي تدعو إليه الرسالة الخاتمة ويقدم صورة مثلى في تجسيد الكرامة والسمو وعلو الهمة ونبل الأخلاق في حياة إنسانية متوازنة. فهو قدوة لما ينبغي أن يكون عليه حال الكائن البشري في علاقته مع خالقه وفي علاقته مع نفسه ومع الآخرين من عامة الناس وخاصتهم. كما أن وجوده ينقل في واقع الناس رسالة الأمل والتفاؤل والاطمئنان ويستعرض مظاهر السعادة وتحقيق الذات، عناصر كادت تفقدها الحياة المعاصرة في ظل التجاذبات والصراعات والفتن. فهي شخصية مطمئنة بحكم تواصلها المستمر مع خالق الأكوان جل وعلا الذي أخبر قائلاً " ألا بذكر الله تطمئن القلوب" (سورة الرعد، الآية 29)، وتستطيع هذه الشخصية بدورها أن تبعث في نفوس من تتعامل معهم تلك الطمأنينة وتنتشر في أوساطهم الأمن والأمان، خاصة وأن البشرية هي في أمس الحاجة إلى من تحتكم معهم إلى العقل وتبني معهم إطاراً اجتماعياً ينصهر فيه الجميع على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم ومواقعهم. مع التنويه بأن خصائص المسلم كما سبقت الإشارة إلى بعضها تجعل من هذا الأخير عنصراً يجمع ولا يفرق ويحقق الوساطة الضرورية بين شرائح المجتمع وكُتله وفئاته وطوائفه أحسن تحقيق، وساطة ميز الله بها أمة محمد ﷺ، قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيدا" (سورة البقرة، الآية 142)، وهذا نظرا لقربه من الجميع وتقاسم معهم كل محاسن الحياة واستعداده الكامل لمشاركتهم في كل أعمال الخير وفي كل ما يمكن أن يعود على المجتمع بالفائدة والنفع. زيادة على كونه مأمون الجانب ومُستجاب الدعاء وضمانة لاستمرار الحياة إذ كما جاء في الحديث الشريف، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال " لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس". (رواه مسلم)

ولعل أغرب ما نراه اليوم تلك الحرب المفتوحة التي تُطارد هذا العنصر الطيب علانية (Berlioz, 2011, pp.75-99) أينما وجد وتؤلب الجميع عليه وتُسخر الإمكانيات المادية والبشرية الضخمة لتحديد حضوره وتهميش دوره و"حماية" أفراد المجتمع من تأثيراته. إنه الانحراف في التوجه والمسار واختيار الطريق المسدود الذي يُبعد الإنسان عن خالقه ليدخل في عبادة الشهوات والأهواء فيتحوّل إلى كائن ضعيف لا قوة له و لا معنى لوجوده فيسهل توجيهه وإخضاعه وإذلاله، تماما كالمدمن على المخدرات الذي لا يستطيع أن يعيش بدون تعاطيها، فيقبل بالتبعية لغيره ويستجيب لكل الشروط المفروضة حتى لا يُحال بينه وبين إشباع رغباته ونزواته.

وبهذه الطريقة يتم التمكين لمشروع الشيطان أن يستوعب الإنسانية ويبتعد بها عن حياة الأخلاق والفضيلة والحكمة و رجحان العقل. ولا غرابة في ذلك فالقرآن الكريم أعطى إشارة واضحة إلى إمكانية وجود هذا الاختيار في الواقع البشري في قوله تعالى " وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (سورة فصلت، الآية:25)، وقوله سبحانه " وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا"(سورة الأعراف، الآية:146). إن الإنسان المسلم، كما هو واضح، عنصر محوري في هذه الحياة لا تستقيم هذه الأخيرة إلا مع وجوده قويا ومعافى وفي عزّ عطائه. وإن البشرية حاليا تُحرم من خدماته المباشرة وغير المباشرة في إطار مخطط رهيب ضدها دفعها نحو المزيد من التعاسة والشقاوة وذنك العيش. يقول الله تعالى " ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا." (سورة طه، الآية 122)". ولن تتمكن من استرجاع استقرارها وسعادة أفرادها وإبعاد شبح الخلافات المشتتة للطاقات والحروب المدمرة والصراعات الدموية إلا بعودته إلى احتلال مواقعه الطبيعية بين أفرادها والعيش في وئام وتناغم واتصال وتواصل معه.

تفعيل دور الأسرة

إن الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي له كامل المؤهلات للقيام بمهمة الإعداد للكائن البشري والتي لا يوجد بديل لها في ذلك. علما بأن أي حرمان من العيش في أحضانها وعدم الاستفادة من خدماتها الطبيعية سينعكس سلبا على مراحل حياة الفرد وستكون له آثار سلبية على المجتمع. وقد جاءت كل محاولات استبدال دورها بالمحاضن الجماعية التي جربتها العديد من المجتمعات المعاصرة كارثية في نتائجها نظرا لاصطدام نظامها الأساسي بقطرة الإنسان وتكوينه النفسي، ولا

تأخذ هوية الفرد ونسبه معنى خارج إطار الأسرة الشرعية(منصوري،ع، 2007، ص.129). فالأدلة العلمية تشير إلى حدوث أنواع من التشوهات والاختلالات في نمو عدد كبير من أطفال العالم الذين حرموا الحياة الأسرية واحتضنتهم مراكز الإيواء الجماعية، وشملت النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية.. والملاحظ أن تلك المراكز الجماعية كانت أحيانا تتوفر على ظروف مادية مساعدة تفوق احتياجات هؤلاء الأطفال.. فمتابعة بيتلهم Bettlheim لأحوال عينة منهم انتهت به إلى القول "إن شخصية غير مرغوب فيها ترتبت عن هذه النشأة"(منصوري،ع،2007،ص.129). وتؤكد للباحث براون Brown وجود أعراض عصبية مع هذا النوع من الأطفال والتي لم تظهر تماما مع الأطفال الذين عاشوا في أسرهم الطبيعية (منصوري،ع،2007،ص.129). كما لوحظ من قبل بولبي أن حرمان الطفل الطويل من حماية أمه الطبيعية و رعايتها من شأنه أن يخلف آثارا سلبية عنيفة تؤثر في حاضره ومستقبله (Bowlby, 1953) . وفي تقدير وولف فإن فقدان الوليد البشري لأمه وانتقاله إلى رعاية في مؤسسة اجتماعية بين الشهر السادس والسنة الثانية من العمر تتجم عنه آثار سلبية على مستوى توازن شخصيته قد تلازمه طول حياته (Wolff, 1969,p.53) دون أن يقلل ذلك من أهمية وجود الأب الذي ظهر في نتائج بعض الدراسات أن غيابه بدوره يترك بصماته القوية على شخصية الفرد ومع احتمالات مرجحة للتأثير السلبي في حياته المستقبلية (منصوري،ع، 2007،ص.130).

إن وزن الأسرة وأفضليتها على أي بديل لها تأكدت حتى حين عاش أفرادها مع أبوين سيئين أو في أسر تفتقر إلى الحد الأدنى الذي يتطلبه نمو الأطفال الطبيعي (Bowlby,1953,pp.78-79)، وحتى حين قورنوا مع أطفال عاشوا في مؤسسات اجتماعية تتوفر على أحسن الظروف المادية ويشرف عليها مربون بكفاءات عالية (Wolff,1969).

إن تحقيق هذا كله وأكثر منه كان ممكنا حين كان المعقل الأول آمنا ومستقرا إلا أن عوامل عديدة تدخلت وعكّرت هذه الأجواء وأدخلت الأسرة في أزمة عميقة خانقة مما أدى إلى تعطيل كثير من وظائفها (D'Amore, et al, 2011,pp.111-128) ومن أبرز العوامل التي ساهمت في إضعاف الكيان الأسري تثبيت حق ممارسة الجنس خارج العلاقة الزوجية الشرعية والذي سمح للأفراد بإشباع حاجاتهم الغريزية لكن أعفاهم من تحمل المسؤولية تجاه خلية المجتمع الأساسية وكل ما يمكن أن يترتب عن هذه العلاقات خاصة إنجاب أطفال غير شرعيين الذين أصبحوا في كثير من المجتمعات يزاحمون بأعدادهم المتزايدة الأطفال الشرعيين (UNESCO,1976,pp.765-767) ، وهو وضع لا يساعد على استقرار الأسرة الطبيعية. كذلك ظهور أنواع أخرى من الزواج مثل الزواج المؤقت أو الزواج التجريبي والزواج المثلي وغيرها من أنواع العلاقات المشبوهة وغير الطبيعية التي اختارت كثير من المؤسسات التشريعية إدماجها ضمن الممارسات الاجتماعية العادية والقانونية.

من ناحية أخرى وضع الاعتبار المادية والمصالح الذاتية أساسا لبناء الأسرة وعدم الالتفات إلى الأبعاد الإنسانية والأخلاقية والمعاني الاجتماعية السامية التي كان بناء هذا الكيان يشترطها، كان له دخل في عدم تعزيز العلاقات الودية بين أفراد الأسرة كما كان أحد الأسباب القوية في إذكاء النزاعات والصراعات التي كثيرا ما تؤدي إلى انهيار هذه المؤسسة. (Andolfi,2011pp.5-21) ولعل الأرقام التي تعرضها الجداول الثلاثة التالية والتي استخلصناها من مجمل الأرقام التي أوردها بدر محمد بدر في "انهيار الحياة الزوجية في الغرب" (بدر محمد بدر، 2017، 2015) والتي استقاها من كتاب "إفرازات الحضارة المادية على الحياة الزوجية في أمريكا وأوروبا" من تأليف د. صلاح سلطان، تؤكد عمق الأزمة التي تعرفها الأسرة المعاصرة خاصة في المجتمعات الغربية التي تقود الإنسانية حاليا، وأن هذه الأسرة في واقعها عاجزة عن أداء دورها المنوط بها.

جدول رقم 1: يبين حالة الأسرة الغربية : الطلاق ، الكبار

عدد الكبار بمفردهم		عدد الأسر مع الأب أو الأم		نسبة الزواج والطلاق لكل ألف			
الرجال	النساء	عدد الأسر مع الأم	عدد الأسر مع الأب	نسبة الطلاق من الزواج	نسبة الطلاق	نسبة الزواج	
				69 %	2.9 %	4.2%	بلجيكا
				60%	2.4%	4%	السويد
				59.52%	2.5%	4.2%	النمسا
				54.16%	2.6%	4.8%	فلندا
				51.06%	2,4%	4.7%	ألمانيا
				50.98%	2,6%	5.1%	بريطانيا
	70% نساء فوق 85 سنة						
	1956 سنة 7.3%	1970 سنة 3 410 000	1970 سنة 393 000	50%	4.1%	8.2%	أمريكا
	1994 سنة 14.2%	2003 سنة 10 142 000	2003 سنة 1 260 000				
	1994 سنة 9.4%						

جدول رقم 2 : يبين حالة الأسرة الغربية : أطفال الزنا

حمل مبكر بين سن 10 و 14		نسبة أولاد الزنا		
12901	1994 سنة	35% : 2001 سنة	28% : 1990 سنة	أمريكا
7315	2002 سنة			
		41.1 % : 1999 سنة	8.8% : 1974 سنة	بريطانيا
		54% : 1999 سنة	40% : 1980 سنة	السويد
		40% : 1998 سنة	11 % : 1980 سنة	فرنسا

جدول رقم 3: يبين نسبة العزوف عن الزواج

الذكور					السنة
24-20 سنة	39-35 سنة	34-30 سنة	29-25 سنة	24-20 سنة	
4.9%	5.4%	6.2%	10.5%	35.8%	1970

16.7%	21.1%	34%	53.7%	85.4%	2002
الإناث					
6.3%	7.2%	4%	19.1%	54.7%	1970
11.5%	14.7%	23%	40.4%	74%	2002

إنها أرقام مفزعة تشير بوضوح إلى الأوضاع الصعبة والقاسية التي تعرفها الأسرة المعاصرة والتي عطلت فيها كل إمكانياتها الطبيعية خاصة تلك التي تسمح لها باحتضان وإعداد الإنسان باني الحضارات. ذلك أن استعداد الأفراد للتضحية من أجل الإبقاء على هذه المؤسسة قوية و متماسكة تتناغم بداخلها الأدوار وتتكامل قد ضعفت .. بل كادت تختفي فكرة التضحية من أجل الأولاد وحرمان هؤلاء من أن يعيشوا مع الأبوين المتفاهمين والمتحابين. فنموذج الأسرة الذي تعرضها المجتمعات الغربية يحمل في طياته تناقضات كثيرة من الصعب عقد عليها الأمل في إخراج الإنسانية من واقعها المتردي، والبديل المُجرب الذي يمثل اختيارا استراتيجيا بالنسبة للبشرية حاليا هو نموذج الأسرة المسلمة. فالدين الإسلامي عالج الأسرة من النشأة وأحاطها بكل أنواع الرعاية وكافة الضمانات التي تكفل استمرارها واستقرارها فضلا عن صيانتها لحقوق أفرادها و ضمان أداء الواجبات كاملة غير منقوصة في وقت الرخاء وفي وقت الشدة. ومن الآثار التي تتجم عن ذلك: تمتع الزوجين ومن خلال علاقة باقي الأفراد بهما بالسكون النفسي. يقول الله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"(سورة الأعراف، الآية 189) ويقول سبحانه "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (سورة الروم، الآية 21). مما يمنح الأطفال فرصة العيش في جو سعيد يعزز عندهم الثقة والاطمئنان، خاصة وأن الرسول ﷺ قدوة كل مسلم ومسلمة كان مثلاً أعلى في معاملة الأطفال والرفق بهم والصبر على مداعبتهم وإن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال التي تؤكد ذلك أكثر من أن يتسع له هذا المقام ..

ولعل من أهم العوامل التي تؤهل هذا النظام الأسري لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه الأنظمة الأسرية المعاصرة:

- 1- أن الدين الإسلامي لا يبيح الممارسة الجنسية خارج العلاقة الزوجية، بحيث يتحول إشباع الغريزة الجنسية بالضرورة إلى استثمار في صالح استقرار الأسرة .
- 2- تعظيم الرابطة الزوجية ومواجهة النزاع أو الخلاف ومعالجته. والقرآن الكريم أضفى على هذه العلاقة قداسة من نوع خاص، فقال تعالى بالإشارة إلى النساء، الطرف المحوري والفاعل في الحياة الأسرية، "وأخذن منكم ميثاقا غليظا"(سورة النساء، الآية 21).
- 3- تشريع مبدأ الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان. يقول الله تعالى: "وأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف" (سورة البقرة، الآية 229). فيؤكد الإسلام بذلك على الزواج الناجح الذي

يضمن السعادة لجميع الأطراف ولا يضع عقبات في وجه حل الزواج الفاشل الذي لا يحقق الهدف المنشود وذلك بتشريع الطلاق كوسيلة لإنهائه.

4- إن حقوق و واجبات الزوجين والأطفال جاءت واضحة ومفصلة وكثير منها ورد في وصية الله لعباده مباشرة "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون"(سورة الأنعام، الآية151)، "ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون"(سورة الأنعام، الآية152)، "ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون"(سورة الأنعام، الآية153).

5- يعالج الإسلام الأسرة في علاقتها مع المؤسسات الأخرى بطريقة تبرز مكانة وأهمية هذه الخلية في حياة المجتمع ويعتبر عدم التدخل في شؤونها الداخلية هو الأصل في تسيير هذه العلاقة، إذا لم تظهر مؤشرات تفرض مثل هذا التدخل، خاصة تعطيل واجبات أو تعدي على حقوق، وهو بدون شك عنصر قوة يزيد في تماسك الأفراد ويزيد عالم الأسرة جمالا ورونقا، ومن آثاره الواضحة تعزيز الحياة الإنسانية الاجتماعية.

استنتاجات عامة

يتضح مما سبق عرضه أن الأسرة المسلمة بخصائصها المتميزة مؤهلة لاحتضان العنصر البشري وتربيته وإعداده لدخول معترك الحياة الإنسانية بكل اقتدار وإيجابية. يساعدها في ذلك:

1- طبيعة و وزن العلاقات والروابط المتفاعلة في فلكها وبالخصوص وجه القداسة التي تتمتع به مما يعزز توافق أركانها و يحقق بالتالي استقرارها.

2- شفافية الحقوق والواجبات حيث يعرف كل فرد ما له وما عليه.

3- كل التشريعات المتعلقة بالأسرة والاحتياجات المعتمدة في تسيير شؤونها والتوقعات الاستشرافية في ظل التقلبات المرتقبة والتحولات تسيير في اتجاه تعزيز الزواج الناجح والحياة الأسرية المتوازنة.

4- رعاية الفرد في ظلها شاملة لأبعاد شخصيته الجسمية والعقلية والاجتماعية الخلقية والنفسية الروحية بما يضمن التناغم بينها والتوازن.

5- لا حدود لفرص نجاح الفرد في أن يعيش في ظلها وبعد خروجه منها سعيدا ومطمئنا ومتفائلا مع كل إمكانات اندماجه في المجتمع ومشاركته الفعلية باقي الأفراد في حياتهم العملية.

6- انطلاقا من هذه الحقائق يتحول الاهتمام بالفرد المسلم وتفعيل دور الأسرة الحاضنة له بالضرورة إلى مستوى من الخطورة والاستراتيجية يستدعي استثمار مزيد من الجهود والمتابعة والرعاية نظرا لتعدد انعكاساته على حياة الأفراد والجماعات والتي قد ترسم معالم مصيرهم النهائي.

الخاتمة

إن دور الأسرة في إعداد العنصر البشري الصالح لا يمكن نسخه أو التفكير له في بديل يعوضه ولو أن الحياة الأسرية المعاصرة في وضع متأزم جعلها عاجزة عن تحقيق هذه الغاية السامية

ويصبح التفكير في ترسيخ واقع أساري أفضل ضرورة بشرية لا يمكن تجاوزها والنظام الأسري الذي يقدمه الإسلام للبشرية يمثل الإطار الذي ساهم دوماً ويستطيع، إذا تم من جديد تفعيله في حياة الناس، أن يساهم في تحقيق الاستقرار للأفراد والجماعات ويعيد للبشرية كرامتها وسعادتها.

المصادر والمراجع

أ- المصادر

- القرآن الكريم (رواية ورش)

- الحديث النبوي الشريف: الامام مسلم، الامام البخاري، الإمام أحمد، الامام الترمذي، الامام البيهقي، الامام الحاكم.

ب- المراجع

- باقر شريف القرشي(1979).النظام التربوي في الإسلام: دراسة مقارنة. دار التعارف للمطبوعات، بيروت .

- القاضي، يوسف مصطفى ويالجن، مقداد (1981).علم النفس التربوي في الإسلام. دار المريخ، الرياض.

- بياجه، جان(1988). سيكولوجيا الذكاء. ترجمة يولاند عمانوئيل، منشورات عويدات، بيروت، باريس ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر الطبعة الأولى.

- أوبر، رونييه(1983). التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط.6.

- نافجستون، السير راتشرد.(2021). التربية لعالم جائر، ترجمة وديع الضبع، وكالة الصحافة العربية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ص.46، الطبعة الأولى صدرت عام 1948

- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني(1987). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مكتبة رحاب، الجزائر ، الطبعة العاشرة.

- منصور، عبدالحق (2007). الأسرة المسلمة: النظام البديل، مجلة المنهل، العدد607، ص.ص. 128 - 135.

- بدر، محمد بدر.(2015). انهيار الحياة الزوجية في الغرب.

<http://www.natharatmouchrika.net/index.php/latin-articles/in-english/item/1803-2015-06-17-07-05-33>
17 يونيو 2015 08:01

- بلحاج العربي (2004). الوجيز في شروح قانون الأسرة الجزائري، الجزء1، ط.3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- بيومي خليل، محمد (2005). سيكولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء، القاهرة.

- دلاندة، يوسف (2005). قانون الأسرة، دار الحرية، الجزائر.

- عطا الله ، أحمد (2007). تربية الطفل في الإسلام، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، عمان.
- الشرباصي، عمر أحمد (1993). الدين وتنظيم الأسرة . جامع الأزهر، القاهرة.
- الكندري أحمد محمد مبارك (1992). علم النفس الأسري، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.
- القصير، عبد القادر (1999). الأسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية، ط. 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- عيشور نادية (2006). النظام الأسري بين أسس الاستقرار ومؤشرات الصراع، مجلة العلوم الإنسانية ، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- بلخير حفيظة (2008). العلاقة الزوجية والإرشاد الأسري، رسالة ماجستير في الإرشاد والتوجيه قدمت بجامعة وهران.
- Bowlby,J. (1953). Child care and the growth of love. Penguin Books. p.53
- Wolff, S.(1969). Children under stress. Penguin Books
- UNESCO.(1976) .The book of the year. pp. 757-765
- Andolfi, Maurizio.(2011). The Couple: Evolution and Crisis in a Three-Generation Perspective. *Therapie Familiale*, 32(1), 5-21.
- Berlioz, A. (2011). La faillite du modèle éducatif contemporain, ou pourquoi il faut en finir avec le mythe du bon enfant. *Thérapie familiale*, 32(1), pp.75-99
- D'Amore, S., Gresse, K., & Pauss, V. (2011). Pertes et ressources dans la construction des nouvelles familles: le cas des familles recomposées. *Thérapie familiale*, 32(1), pp.111-128.